شرح قصيدة هو لا غيره محمود درويش

يمتاز شعر محمود درويش بوجود شيء من الغموض والأفكار المخفية التي تحتاج إلى نظرة عميقة للقصيدة لاكتشافها، وهذا ليس غريباً فهو من الشعراء الذين أدخلوا الرمزية إلى الشعر العربي، واهتموا بالمعاني والأفكار الرمزية على حساب الوزن والقافية، ومن أشهر القصائد التي كتبها محمود درويش قصيدة هو لا غيره وفيما يأتي ندرج لكم شرحاً لهذه القصيدة:

هُوَ، لا غيره، مَنْ ترجَّل عن نجمةٍ ..... لم تُصبْهُ بأَيّ أَذى.

قال: أسطورتي لن تعيش طويلاً .... ولا صورتي في مخيّلة الناس.

يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن الشهيد الفلسطيني الذي أبى أن يستكين للاحتلال والظلم وقرر أن يخوض في درب التحرر والتصدي للعدوان، وقد جعل الشاعر قصيدة على شكل حوار بينه وبين ذلك المقاتل الشجاع، يقول الشاعر محمود درويش، هو وحده ذلك البطل الشجاع من قرر أن يتخلى عن الراحة والصمت الذي يعيش فيه والذي كان سبباً في بقائه على قيد الحياة حتى الآن، وقد قال ذلك البطل إذا بقيت صامتاً متخفياً فلن أبقى على هذه الحال طويلاً وسوف توافيني المنية عمّا قريب، ولن يبقى لي في أذهان الناس سوى الذكريات.

فلتَمْتَحِنِّي الحقيقةُ .... قلت له: إن ظَهَرْتَ انكَسرْتَ، فلا تنكسرْ

قال لي حُزْنُهُ النَّبَوي: إلي أين أذهبُ؟ ... قلت إلى نجمةٍ غير مرئيّةٍ .... أو إلى الكهف

يقول ذلك المقاتل في حواره مع الشاعر أني أريد أن أتحدى نفسي وأتحدى الحياة وأن أظهر نفسي وأتقدم إلى الحرية غير آبه بالعواقب، فقال له الشاعر محذراً له من عواقب الاندفاع والطيش (وهو لا يريد ان يثبط من عزيمته بل على العكس فهو يريد أن يزيد الحماس فيه) فإذا خرجت مندفعاً فقد تنكسر وتموت فابقى هنا ولا تذهب إلى موتك المحتّم، فقال المقاتل: إلى أين أذهب بنفسي إذاً؟ هل هناك مكان على هذه الأرض يمكن أن ألتجأ إليه دون أن يدركني الموت أو تتبعني المصائب، فأجابه الشاعر، اذهب إلى نجمة غير مرئية (أي اذهب إلى مكان بعيد منعزل لا يصل إليك فيه أحد من الناس) أو إلى أحد الكهوف البعيدة المخفية.

قال يحاصرني واقعٌ لا أُجيد قراءته

قلت دَوّنْ إذنْ، ذكرياتِكَ عن نجمة بَعُدَتْ

وَغَدٍ يتلكّأُ، واسألْ خيالك: هل

كان يعلم أنَّ طريقَكَ هذا طويل؟

فقال: ولكنني لا أُجيد الكتابةَ يا صاحبي!

فسألت: كذبت علينا إذاً؟

فأجاب: علي الحُلْم أن يرشد الحالمين

كما الوَحْيُ

فقال ذلك المقاتل يرد على الشاعر، إنني محاصر بأحداث غريبة لا أعلم كيف أتصرف فيها ولست أعرف كيف أقرأ الأحداث التي تجري من حولي بالشكل الصحيح، فأجابه الشاعر: إذاً اذهب إلى ذلك المكان البعيد الذي أخبرتك به ودون هناك ذكرياتك وأحلامك اكتب عن الأحداث التي تعيشها اليوم والتي ستصبح ذكريات فيما بعد وعن تنبؤاتك للمستقبل التي لا يُرى فيها شيء من الأمل، واسأل نفسك هل كنت تتوقع أن تغرق بالهموم والحيرة إلى هذا الحد وتمر عليك السنين الطويلة وأنت على هذه الحال، فرد المقاتل مقاطعاً الشاعر: ولكنني لا أجيد الكتابة، فقاطعه الشاعر قائلاً هل كذبت علينا إذاً، فقال المقاتل لا أنا لا أكذب ولكنني أؤمن بأن الحلم يجب أن يرشد من يطمحون لتحقيق أهدافهم.

ثم تنهد: خُذْ بيدي أيها المستحيل!

وغاب كما تتمنَّى الأساطيُر

لم ينتصر ليموت، ولم ينكسر ليعيش

فخذ بيدينا معاً، أيها المستحيل!

ثم تنهد هذا المقاتل وقرر الخوض في غمار المخاطر حالماً بأن يحقق شيئاً لأبناء وطنه رغم أن زوال الاحتلال شيء من المستحيل في ظل التفرقة والانقسام، ولكنه قرر أن يخوض في المستحيل بدلاً من الاستسلام للواقع المر، وغاب هذا المقاتل بعد أن قضى في معارك الشرف والكرامة ومات كما يموت الأساطير والأبطال، فهو بموته حقق أعظم انتصاراته، بدلاً من أن يكمل حياته في الذل والخضوع، وعندها صرّح الشاعر عن رغبته الحقيقة في التضحية وبذل النفس في سبيل التحرر بدلاً من الرضوخ، وقرر الخوض في المستحيل والسير على خطى ذلك البطل الشجاع.